

تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

الفصل الرابع

حاجات النمو في مرحلة المراهقة

oboeikan.com

المراهقة من الناحية النفسية والاجتماعية هي مرحلة الانتقال من المرحلة التي يعتمد فيها الفرد كطفل على الغير إلى إنسان بالغ يحاول الاستقلال معتمدا على ذاته وصولا به إلى سن الرشد، ويتطلب هذا الانتقال تحقيق توافقات جديدة بين المراهق والآخرين، وذلك في حدود ما تقتضيه الثقافة السائدة في المجتمع (الزعيبي، أحمد محمد ٢٠١٩: ٢٠٠٧). وهي تعتبر مرحلة طبيعية في حياة الإنسان، ولكنها مرحلة حرجة لها متطلبات أو حاجات تتسق مع الخصائص النمائية التي تميزها والتي لا بد من إشباعها بطرق مناسبة لكي يتمتع المراهق بحياة طبيعية.

وفي مجلة «الوعي الإسلامي» الصادرة في الكويت يوم ٣-٩-٢٠١٠ يقول حسام فتحي أبو جبارة: إن أهم مشكلات المراهقة تحدث نتيجة عدم فهم الوالدين لطبيعة هذه المرحلة، وكذلك عدم تهيئة الطفل في المرحلة السابقة لها، ومن هنا، ولكي تتم عملية الانتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد بدون مشكلات، فقد حدد علماء النفس والاجتماع الحاجات الضرورية للنمو.

تصنيفات حاجات نمو الأبناء في فترة المراهقة

يصنف الباحثون حاجات النمو في سنوات المراهقة بطرق متعددة، وفي حدود الأدبيات التي اطلعنا عليها يمكن ذكر ثلاثة تصنيفات منها، لنصل، في النهاية، إلى تصنيف نعتد عليه في مناقشة حاجات النمو في فترة المراهقة:

التصنيف الأول :

يحدد الدكتور حامد زهران (٢٠٠٥) حاجات النمو في فترة المراهقة كالتالي:

- نمو مفهوم الجسم وتقبله.
- تقبل الدور الجنسي في الحياة، ذكرا كان أو أنثى.
- تقبل التغيرات التي تحدث نتيجة للنمو الجسمي والفسولوجي والتوافق معها.

- تكوين المهارات والمفاهيم العقلية الضرورية للإنسان الصالح.
- إكمال المراحل الدراسية.
- تكوين علاقات جديدة طيبة وناضجة مع الأصدقاء.
- نمو الثقة في الذات والشعور بكيان الفرد.
- اختيار مهنة والاستعداد لها (جسديا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا).
- الاستعداد لتحقيق الاستقلال اقتصاديا.
- ضبط النفس بخصوص السلوك الجنسي.
- الاستعداد للزواج والحياة الأسرية.
- تعلم المهارات والمفاهيم اللازمة للاشتراك في الحياة المدنية للمجتمع.
- معرفة السلوك الاجتماعي والمعايير المجتمعية وتحمل المسؤولية الاجتماعية.
- اكتساب قيم دينية واجتماعية وخلقية تتناسب مع المنظومة الأخلاقية للواقع الاجتماعي.
- إعادة نمو الذات وضبطها.
- بلوغ الاستقلال الانفعالي عن الوالدين والكبار (ص ٨-٩٧).

التصنيف الثاني:

- يحدد الدكتور علي فالح الهنداوي (٢٠٠٥) حاجات النمو للمراهقة كالتالي:
١. تقبل التغيرات التي تحدث للفرد نتيجة نموه الجسمي.
 ٢. تكوين علاقات اجتماعية مع كلا الجنسين.

٣. استقلال عاطفي عن الوالدين وعن الكبار.

٤. الوصول إلى مستوى الاستقلال المالي

٥. اختيار المهنة والاستعداد لها.

٦. تكوين المفاهيم الضرورية للمواطنة الصالحة.

٧. تقبل المسؤولية الاجتماعية.

٨. التهيؤ للزواج والحياة العائلية.

٩. تكوين قيم سلوكية تتسم بالعلمية عن العالم المنظور الذي يعيش فيه (ص ٢٤).

هاتان القائمتان أعلاه لكل من الدكتور حامد زهران (٢٠٠٥) والدكتور علي فالح الهنداوي (٢٠٠٥) تشيران إلى مجموعة من الحاجات التي يتطلبها نمو الأبناء في سن المراهقة - ونضعهما كمثالين فقط - درج كثير من علماء النفس والاجتماع على تبنيها، وذلك لنعطي القارئ تصورا عن نوعية هذه الحاجات. وإذا ما تأملنا مضمونها سنجدها تضم مجموعة من الحاجات يمكن أن تنضوي ضمن ثلاثة أنواع من المعطيات: نفسية واجتماعية ومعرفية، وكل نوع منها يمكن أن يشتمل على عدة عناصر من الحاجات، وفيما يلي مثال لهذا التصنيف.

التصنيف الثالث:

وفي موقع إلكتروني، يقسم الدكتور محمد العامري (١٩-٥-٢٠١٢) حاجات المراهقة إلى ثلاثة أنواع، موزعة كالتالي:

١. حاجات نفسية: وتضم الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى العبادة، الحاجة إلى القبول.

٢. حاجات اجتماعية: وتشمل الحاجة إلى الرفقة، الحاجة إلى الزواج، الحاجة إلى العمل والمسؤولية.

٣. حاجات ثقافية: وتشمل الحاجة إلى الاطلاع، الحاجة إلى الهوية الثقافية.

التصنيف المتبع في هذا الكتاب:

اعتمادا على التصنيفات السابقة، نقوم بوضع تصنيف يتضمن أهم حاجات النمو في فترة المراهقة، وهو كالتالي:

أولا: الحاجات النفسية والروحية للمراهق، وتتضمن:

(١) حاجة المراهق إلى الأمن والاستقرار النفسي.

(٢) حاجة المراهق للحب والتعاطف.

(٣) حاجة المراهق إلى العبادة.

ثانيا: الحاجات الاجتماعية والمعنوية للمراهق، وتتضمن:

(١) حاجة المراهق إلى التقدير.

(٢) حاجة المراهق إلى الحرية مع التوجيه وضبط السلوك.

(٣) حاجة المراهق إلى النجاح.

(٤) حاجة المراهق إلى التقدير.

ثالثا: الحاجات المعرفية والثقافية للمراهقة.

وتتناول وسائل المعرفة والثقافة ومصادرها وآثارها على النشء.

وكل هذه الحاجات المصنفة ليست بمعزل عن بعضها البعض، فكل مؤثراتها مترابطة وإن صُنفت تحت عناوين تجمع بين كل منها صفات ذات خصوصية

أكبر، فإشباع حاجة المراهق للتقدير وللحرية وللنجاح وللانتماء مثلا لا تختلف تأثيراته كثيرا عن تلك التي تتم من إشباع حاجته للمعرفة والثقافة وغيرها. وفيما يلي نناقش هذه الحاجات بمختلف جوانبها:

أولا؛ الحاجات النفسية والروحية في فترة المراهقة

ونقصد بها تلك العمليات الوجدانية والتي من شأنها أن تحقق للمراهق الشعور بالسعادة والرضاء عن النفس، ونختار منها ما يلي:

١. حاجة المراهق إلى الأمن والاستقرار النفسي

كثيرا ما يفتقد الشباب الإحساس بالأمن والاستقرار النفسي، ويفسر الباحثون هذا الإحساس في ضوء الصراعات الناتجة عن تضارب الرغبات والحاجات، وفشلهم في إشباع حاجاتهم الأساسية، وكذلك خوف هؤلاء الشباب مما يحمله المستقبل لهم من مجهول قد يواجهه العالم، وهناك أيضا عدة عوامل من شأنها أن تؤدي إلى انعدام الأمن النفسي لدى الشاب، منها اختلال القيم والفراغ الروحي وطغيان القيم المادية في الحياة المعيشية والشعور بالظلم والاستبداد وعدم تكافؤ الفرص وكبت الحريات وتضاؤل فرص العمل (خليل، محمد بيومي ٢٠:٢٠٠٣).

ويستمد المراهق إحساسه بالأمن والاستقرار بقدر ما يتمتع به من حماية والديه حياته ووجوده ضد أي أخطار قد يتعرض لها، لعل أبرزها رعايتهم له أثناء فترة المرض، أو اهتمامهم به وتشجيعهم له أثناء فترة الامتحانات، ويشكل الجو الأسري والعلاقات الطيبة بين أفراد الأسرة - وخاصة بين الأم والأب - عاملا أساسيا لاستقراره النفسي، فهذه العلاقة التي تسود الحياة الأسرية وتبعث أجواء السلام والطمأنينة في المنزل، تنعكس على حياة المراهق العامة خارج نطاق الأسرة فتقيه شرور ما قد يواجهه من مشكلات في المجتمع، وتعتبر العلاقات الأسرية الأساس من حيث الأهمية للنمو النفسي للمراهق، وينطبق هذا ليس فقط

على علاقة كل من الأب والأم بالابن، بل أيضا على علاقة المراهق بإخوته وأقاربه وجميع المقربين منه، كذلك تشكل القيم والمبادئ عاملا مهما في تزويد المراهق بالإحساس بالأمن.

وتقول الدكتورة كلير فهيم (٣١:٢٠٠٧-١-) عندما يتعكر صفاء الجو الأسري وتسود حياة الأسرة المشاحنات وخاصة بين الوالدين، أو يتعرض المراهق إلى المعاملة السيئة من الوالدين بالقول أو العمل، تنشأ نتيجة ذلك روح العداوة لدى المراهق ورغبته في الانتقام، وتزداد لديه الحساسية في الكثير من المواقف ليصبح: عنيدًا، أنانيًا، قلقًا، منبوذا من زملائه. وقد يؤدي هذا الإحساس بالمراهق إما إلى الجنوح أو إلى الاستكانة والاستسلام، ويصبح مكتئبًا، كما أنه في بعض الأحيان يضعف تركيزه الذهني فيؤثر على إنجازه الدراسي، وبالتالي يبتعد عن أقرانه، وتظهر لديه اضطرابات في شخصيته تنتقل معه في المراحل العمرية المستقبلية.

وتؤكد الدكتورة كلير فهيم أيضا أن من مصادر القلق الذي يعاني منه المراهق ويفقده الأمن تلك الأخطاء التربوية التي يقع فيها الوالدان كأسلوب التهيب والقسوة في المعاملة، وجدير بالذكر أن كبت الابن للمشاعر المؤلمة نتيجة تلك المعاملة تبقى في أعماق نفسه لتظهر من جديد في حياته المستقبلية على هيئة مرض نفسي، أو قد ينعكس على اتجاهاته في حياته العلمية أو حياته العاطفية في تنشئته لأبنائه مستقبلا (٣٢:٢٠٠٧-١-).

٢. حاجة المراهق للحب والتعاطف

احتياج المراهق للحب والتعاطف لا يقل أهمية عن احتياجه للأمن والاستقرار، فحب الوالدين وعطفهما له يمنحان المراهق القدرة على مواجهة مطالب الحياة خارج المنزل، أكثر من مواجهة أولئك الأبناء الذين لا يتمتعون

بحب ذويهم والتعاطف معهم لتلك المطالب، ولكن ينبغي أن نعلم أن منح المراهق حب الأهل وتعاطفهم يجب أن يكون في حدود بحيث لا يصل إلى درجة المبالغة التي يمكن أن تؤدي به إلى الشعور بأنه سيكون في مأمن من المحاسبة إذا ما أخطأ، بل يجب أن يكون هذا الحب مستنيرا وواعيا، وبذلك تتحقق عند المراهق الثقة بالنفس ويخلق لديه الرضا تجاهها فيشجعه على محاولة تحقيق طموحاته بدون خوف من نتيجة الفشل (كلير، فهم ٣٠:٢٠٠٧-١-).

وتقع على عاتق الأم مسؤولية كبيرة لإشعار الأبناء بالحب والتعاطف، فهي صمام الأمان في الأسرة، وهي ربة المنزل المسؤولة عن تربية أبنائها وتنشئتهم وفهم احتياجاتهم الجسمانية والعقلية والوجدانية والنفسية، فهي القدوة والحضن الدافئ والحنان والأمان، وعندما يكون دور الأم الأساسي عصا التهديد الجوفاء عند كل مخالفة أو سلوك خاطئ يحدثها الأبناء، فإن ذلك يمثل صورة مرفوضة من كل الوجوه.

فالأمومة لم تكن يوما كلمات تطلق في الهواء للتسلية، وإنما هي فن وعلم ووظيفة في غاية الأهمية، وعلى أساسها يمكن أن تبنى شخصية الأبناء أو تهدم أو يمكن أن تسعد حياتهم أو تشقى، ويمكن أن تؤدي إلى نجاح الأبناء أو إلى فشلهم، فالأمومة ممارسة وحياة تبدأ منذ أن يكون الطفل جنينا في رحم أمه وتستمر في مراحل حياته التالية، وحب الأم وحنانها هو الذي يجعل الابن إنسانا سويا خاليا من الاضطرابات النفسية، وينعكس ذلك على حياته الاجتماعية واستقراره (فهم، كلير ١١٥:٢٠٠٦). ويؤدي الحرمان العاطفي لدى المراهق إلى عدة مشاعر مثل: الغضب - والعدوان - والعناد - والعصية - والخوف - وأحلام اليقظة (فهم، كلير ٣٠:٢٠٠٧-١-).

٣. حاجة المراهق إلى العبادة

يتكون الإنسان من جسم ونفس، ونقصد هنا الروح، وكما أن للجسم مطالبه وحاجاته وشروط نموه، فكذلك النفس لها حاجاتها وشروط نموها، وبذلك يتم التوازن بين الجسم والنفس وتتوافق وظائفهما، وهو ما تقتضيه حكمة الحياة، وهناك كثير من الآباء يهتم بمطالب الجسد لأبنائهم من غذاء وملبس ومسكن، دون أن يعيروا أدنى اهتمام بالمطالب الروحية (السيبي، عدنان ١٦٦: ١٩٩٨).

وفي عصرنا الحاضر تراجعت الطاقات الروحية وانكسرت ممارسات العبادة، وخاصة في المجتمعات المتحضرة، وصاحب ذلك تناقص الأمان النفسي وهبوط الروح المعنوية للأفراد والجماعات، وكل ذلك ما كان ليحدث لولا طغيان التوجهات المادية في العلم والعمل، وكذلك الأزمات الاقتصادية ومخاطر الحروب والصراعات الثقافية، ويكمن خلف كل ذلك عاملان كبيران هما التغيرات السريعة وسوء استخدام العلم، مما يستدعي العمل على تقوية معنويات الإنسان والقيم البشرية (نفس المرجع ص ١٦٧).

وتتميز مرحلة المراهقة بأنها فترة يقظة دينية يصبح فيها المراهق في حالة فحص ومناقشة ونقد للمعتقدات الدينية التي اكتسبها في طفولته، فيخضعها للتعديل حتى تتواءم مع حاجاته الجديدة التي صارت أكثر نضجا، وهذه الصبغة الدينية لهذه الفترة تزيد من اهتمام المراهق بالمسائل الروحية، وتجعله مطالباً بممارسة العبادات بصورة أكثر جدية مما كان عليه الحال في مرحلة الطفولة (صادق، آمال؛ وأبو حطب، فؤاد ٣١٨: ٢٠٠٨).

ويتدرج الأبناء في تعلم الإيمان وسائر القيم الأخلاقية منذ سني الطفولة، وذلك عن طريق ما يلقونه من ذويهم من تقبل وأنس ورضا، وما يتهيأ لهم من استقرار وطمأنينة عند ممارستهم أداء فرائض العبادة، وهنا تكمن أهمية دور

الأسرة في غرس القيم الدينية والأخلاقية عند الأبناء، تساندهم في ذلك المؤسسات المدرسية والإعلامية (السييبي، عدنان ١٧٣: ١٩٩٨).

وتعطي الدكتورة كلير فهيم (٢٠٠٧-٢-) إشباع الحاجات الروحية للشباب أهمية قصوى، وتعتبرها «مظلة وقاية في إشباع الحاجات الأخرى»، وهذا الإشباع للحاجات الروحية يعتبر أمراً أساسياً للكائن الحي لا يمكن أن يعيش بدونها، كما ترى أن «نظام إشباع الحاجات الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية يمكن أن يتهدد إذا لم يوازن بين إشباع هذه الحاجات وإشباع حاجاته الروحية». وكلمة تم إشباع هذه الحاجة الروحية ازداد شعور الفرد باحتياجه للمزيد منها، حيث تقول كلير: «من يشعر بنعمة الارتواء من القرب لله ومحبه يشعراً دائماً أنه لا يستطيع أن يعيش في غنى عن هذا النبع الذي يفيض ماء الحياة» (ص ٣٤).

ثانياً: الحاجات الاجتماعية والمعنوية في فترة المراهقة

الحاجات الاجتماعية والمعنوية للمراهق تتمثل في تلك التي إذا ما أشبعت يشعر المراهق بأنه إنسان له قيمته في المجتمع، ومن خلالها تتحقق فكرة إثبات استقلالته وعدم اعتماده على الآخرين، وقدرته على القيام بشؤونه الخاصة، وكذلك قدرته على تزعم وقيادة الآخرين، وهذا الشعور يدفع به إلى تطوير ذاته ويستمر في التحصيل والإنجاز، فيؤدي ذلك إلى شعوره بالكفاءة ويكتسب مكانة مرموقة بين أفراد جماعته، وفيما يلي نبين أهم عناصر الاحتياجات الاجتماعية والمعنوية:

١. حاجة المراهق إلى الانتماء

يقال: إن الإنسان اجتماعي بطبعه، وهذا ما يؤكد علماء النفس الذين يرون أن الإنسان دائماً في حاجة إلى جماعة ينتمي إليها ويكتسب بينها مكانة اجتماعية تشعره بالراحة والسعادة، وللانتماءات دوائر متعددة من الانتماءات، ولكي تتكامل

شخصية المراهق ويتمتع بالصحة النفسية يحتاج إلى إشباع حاجته من هذه الانتماءات المتعددة، ونذكر أهمها فيما يلي:

أ. الانتماء إلى الله سبحانه وتعالى: فلا يمكن أن يتحقق للمرء الإيمان والرضا بحياته والاقناع بما هو فيه دون الانتماء إلى الخالق، فكيان المخلوق يرتبط دائما بمن خلقه ويستكمل بالعلاقة معه، ويجد الراحة والاتحاد معه ويعطيه الإحساس بالاطمئنان، ويشعر بأن الله بجانبه يعينه على النجاح والتوفيق في كل جانب من جوانب الحياة (فهيم، كليز ٢٦:٢٠٠٧).

ب. الانتماء إلى الأسرة: وتعتبر الأسرة أول جماعة يحس نحوها الابن بالانتماء، وهي التي يقترن اسمها باسمه وتصاحبه طوال مراحل حياته، فالترابط الأسري وما يسودها من محبة، واستعداد أفرادها للتضحية من أجل الآخر ومساعدة بعضهم بعضا، كل ذلك يجسد معنى الانتماء الأسري، وهو في حد ذاته يعني جوهر العطاء والأخذ بين أفراد الأسرة التي يتعدى مستواها من الجوانب المادية إلى ما هو أكثر أهمية، وهي الجوانب الذهنية والروحية والنفسية (فهيم، كليز ٢٦:٢٠٠٧ -٢-).

وتتمثل عوامل تنمية الإحساس بالانتماء إلى الأسرة في العوامل الآتية:

- توفير الجو الأسري المتماسك.
- يجب أن يسود بين أفرادها الوثام والمحبة والتضحية.
- خلو النظام الأسري من تيارات متناقضة.
- قضاء الأسرة معا وقتا كافيا.
- ارتباط الأسرة بأهداف وآمال مشتركة.
- ضرورة أن تسود العدالة في المعاملة بين أفرادها.
- تمسك الأسرة بالقيم الدينية والأخلاقية.

- إحساس أفرادها باستعداد كل منهم للتضحية من أجل الآخرين والتعب من أجلهم.
- احترام حرية كل فرد في الأسرة، والاعتراف باختلافات الأمزجة والفروق الفردية بين أفرادها.
- إتاحة الجو الديمقراطي للأسرة، مما يساعد على تنمية شخصيات أفرادها وإخراج استعدادها من طور الكمون إلى التطور (فهيم، كليز ٢٨: ٢٠٠٧-٢).

ج. الانتماء إلى الجماعات: مثل الانتماء إلى جماعات اللعب أو إلى المدرسة كجماعة أو هيئة اجتماعية أو إلى جماعة دينية أو جماعات الهوايات أو الجماعات السياسية أو الرياضية أو غيرها، ودور الأسرة في اختيار الجماعات التي ينتمي إليها الابن المراهق وتوجيهها وتبصيره بأهداف هذه الجماعات والفوائد أو المضار التي يمكن أن تواجهه هو دور مهم لا يستهان بقيمته ونتائجه (فهيم، كليز ٦: ٢٠٠٧-١).

د. الانتماء إلى الوطن: وهذا النوع يعتبر من الانتماءات المهمة التي يحتاج إليها الإنسان، ويحمل هويته، فالمراهق عندما يشعر بانتمائه لوطنه يغمر حياته الاطمئنان والاستقرار، ويشعر بأنه ينتمي إلى مجموعة تتفق معه في الطباع والتقاليد وطرق المعيشة، تسانده وتحميه من المظالم والعدوان وتوفر له ولأسرته الراحة والحياة الكريمة، وتمده باحتياجات الحياة المادية والمعنوية.

وتتميز شخصية الشاب المنتمي إلى وطنه بالخصائص التالية:

- هي تلك الشخصية التي يكون لديها الاستعداد أن تقبل على العمل المنتج للصالح العام.

- هي تلك الشخصية التي تسعى للانخراط في عمل شريف يعود بالنفع لمصلحة الوطن.
- هي تلك الشخصية التي لديها الاستعداد بالتضحية من أجل سلامة الوطن وحمايته ضد الأعداء.
- هي تلك الشخصية التي لديها الاستعداد لأن تساهم في بناء الوطن ورفعته، والذود عن حقوقه وكرامته (فهيم، كليز ٢٨: ٢٠٠٧-٢-).

٢. حاجة المراهق إلى الحرية مع التوجيه وضبط السلوك

إن الحاجة إلى الحرية رغم أهميتها للمراهق تتطلب وجود سلطة موجهة أو ضابطة، وتمثل هذه الحاجة في أبسط صورها في حرية التعبير عن رغبات المراهق وآرائه، وهي تبدأ عند الإنسان منذ مراحل حياته الأولى وتستمر قوية طول العمر، بحيث لا يطيق الإنسان بطبيعته الشعور بأن هناك أي قيد يمنعه من حرية الحركة والتعبير عن النفس، وهذه الحرية والرغبة في الاستقلال في التصرفات الشخصية تساعد المراهق على النمو والتقدم، بشرط ألا تكون حرية مطلقة، ولذلك يصاحب الحاجة إلى الحرية عادة وجود سلطة موجهة أو ضابطة، وهذه السلطة الموجهة يقوم بها كل من الوالدين في المنزل، ثم المدرسين في المدرسة، ثم الرؤساء في العمل، وهكذا (فهيم، كليز ٢٠٠٧-١-؛ فهيم، كليز ٢٠٠٧-٢-).

وتكمن أهمية التوجيه والتبصير التي يحتاجها المراهق في أنها تتيح له فرصة الحصول على إجابات متعددة للتساؤلات التي يمكن أن تسبب له القلق النفسي، كما أنها تمكنه من التمييز عند الاختيار بين سلوك أثيب عليه وآخر منع منه، فيكتشف الضار من السلوك والنافع منها، ويزول الغموض الذي قد ينتابه، ويساعد ذلك على نمو الضمير، وهو السلطة الذاتية التي يغشاها، وتكون في نفس الوقت محببة إليه، لأنها نابعة عنه وليست مفروضة عليه. وتظهر مدى قوة الضمير

في مرحلة الشباب حيث تختفي السلطة الوالدية ولا يبقى إلا هذا الضمير الذي يوجه الفرد بموجب ما اكتسبه من قيم وعادات وأفكار، فيؤدي به إما إلى الطريق السليم أو أنه لا يقوى ضميره على ممارسة السلطة على سلوكه فيقع في المحذور (فهيم، كليز ٢٠٠٧-١).

لذلك لكي تؤتي ثمار التوجيه والتبصير أكلها، لا بد للوالدين من إدراك عدة أمور في تعاملهما مع أبنائهما المراهقين كل حسب جنسه، أهمها ضرورة التسلح بالوعي التام بحتمية مرور الأبناء بالفترة الانتقالية (من الطفولة إلى المراهقة) لكي يساعدوا على اجتيازها بطريقة سهلة. كذلك يجب ألا يعكس الوالدان تجاربهما الشخصية في فترة مراهقتهما عند توجيه أولادهما، بل يجب اللجوء إلى ما أثبتته حقائق العلم في العصر الحديث من حقائق المراهقة، وكيفية ترشيدها، لأن الأجيال تختلف والعلم يتطور (الخطيب، موسى ١٠٣: ١٩٩٣).

إن تجنب التدخل في كليات أو جزئيات حياة المراهق من أساسيات التربية الصحيحة، من ذلك مثلا أهمية إعطائه الفرصة لإظهار شخصيته في ترتيب حجرته، واختيار الكتب الصالحة التي يرغب في قراءتها وكذلك اختيار الأصدقاء ذوي السلوك الحسن، كما أن له الحق في اختيار الملابس التي تروق له، وهكذا. إلا أنه بالرغم من ذلك فإن هذه الحرية يجب ألا تكون مطلقة، فهناك أمور مشينة على الوالدين مراقبتها وأن يطلب من الأبناء تجنبها، عن طريق إبعاد المراهق عن الأشخاص ذوي الميول الهدامة، أي المنضمين لهيئات تميل للعنف، أو التعصب الديني، وجماعات أخرى منحرفة. من ضمن الواجبات أيضا إبعاد الكتب الهدامة والتشجيع على الكتب الإيجابية، والتي تلقي الضوء على الشخصيات التاريخية لاقتباس المثل العليا ممن قضى حياته لخدمة الإنسانية.

ويضع الخطيب بعض النقاط المهمة التي يجب أن يتوخاها الوالدان عند معاملتهما مع ابنتهما المراهق، هي كالتالي:

١. أن يكون الوالدان قدوة حسنة لابنتهما المراهق في السلوك، أكثر من تقديمهما النصائح والوعظ المباشر له.

٢. الوضع في الاعتبار أن الصدق مع النفس ومع المراهق هو أفضل وسيلة للإقناع.

٣. أهمية مراعاة القضايا الأساسية لدى المراهق، وهي الاستقلال والحرية في التعبير عن نفسه الرومانسية، وعدم الثبات الانفعالي، من هذا مثلاً ترك مساحة كافية للمراهق لكي يكون حرّاً في اختيار ملابسه ورياضته وتعليمه ومهنته المستقبلية، وغيرها.

٤. إعطاء المراهق الفرصة للمشاركة الديمقراطية في تسيير أمور البيت، والتعبير عن رأيه، وإجادة إقامة حوار بينه وبين الكبار، وهي فرصة نادرة لتعميق السلوك الديمقراطي لديه، كما أنها تكون مفيدة بالنسبة له في حياته المستقبلية.

٥. عدم اللجوء إلى العنف والقهر والضغط في التعامل مع المراهق، لأنه يولد العناد والسلبية والتطرف والعنف.

٦. لا بد من إتاحة الفرصة للابن أن يقوم بممارسة تجارب الحلول فيما يواجهه في حياته، لكي لا يفاجأ بمستقبل لم يستعد له، ولم يجد البروفات الكافية للمواقف المحتملة، وكيفية التصرف فيها (الخطيب، موسى ١٠٥: ١٩٩٣).

وإذا كان الأمر نفسه ينطبق على المعاملة مع الابنة المراهقة، إلا أن هناك بعض الخصوصيات التي يجب مراعاتها، منها ما يلي:

١. الإصغاء باهتمام لكلام الابنة عند لجوئها إلى الأم أو الأب لطلب المشورة، وهنا يجب ألا يحول انشغال الأم في الشؤون المنزلية أو انصراف الأب في أمور أخرى عن التعاطي مع تساؤلات ابنتهما، مهما كانت تساؤلاتها في رأيها تافهة.

٢. من المستحسن أن يتم التعامل مع الابنة والتحدث إليها بأسلوب يشعرها بأنها قد نضجت، فذلك سيشجعها على فتح موضوعات جديدة للحوار.

٣. أن اللجوء إلى الحوار، وإقناع الابنة بلطف بوجهة نظر الوالدين، هي الأكثر واقعية وتأتي بنتائج أفضل عما لو تم معالجة المسألة عن طريق سرد المواعظ، وتقديم النصائح الجافة.

٤. يجب عدم السخرية من آراء الابنة، حتى ولو كانت غير صحيحة ومنتزفة، لأن ذلك قد يسبب جرحاً عميقاً يجعلها تحجم عن فتح حوار مع الأبوين مستقبلاً، كما يؤدي النقد المستمر لتصرفات الأبناء عموماً إلى عزوفهم عن التحدث مع الوالدين عندما يقعون في مشكلة.

٥. من الأمر الجيد أن يتخذ الأبوان أسلوب الحزم في الأمور المتعلقة بالمبادئ والأخلاقيات عندما يتتهكها الأبناء (ينطبق هذا على الجنسين)، أما في الأمور المتنوعة الأخرى لا بد من مناقشتها واتباع أسلوب الإقناع الهادئ، ويفيد جداً أن تشجع الابنة بامتداحها على أدائها لعمل جيد بدلاً من التركيز دائماً على تعداد الأخطاء.

٦. يجب أن يسمح للابنة بإبداء الرأي في قرارات مهمة تتعلق بالأسرة، وحتى لو اختلفت الآراء بين الجيلين، فعلى أولياء الأمور إدراك أن المناقشة هي في المصلحة العامة للأسرة، فاختلاف التفكير وتصورهم للأمور بين الجيلين أمر طبيعي، وأنه من خلال هذه المناقشات، يمكن توجيه الأبناء وإعدادهم لمستقبل مشرق (الخطيب، موسى ١٠٦: ١٩٩٣).

(٣) حاجة المراهق إلى النجاح

تحقيق النجاح من الحاجات الضرورية التي يجب إشباعها لدى الأبناء في سن المراهقة، لأنه يدفعهم إلى مواصلة التقدم نحو الارتقاء بسلوكهم، وكذلك يؤدي إلى تحسين ما يقومون به من أعمال، وبذلك يكتسبون الثقة بالنفس، وخاصة في هذه الفترة الحرجة من حياتهم، فترة المراهقة، وبالعكس فإن الفشل يؤدي إلى الإحباط وفقد الثقة بالنفس ويدعو إلى القلق.

وتحقيق النجاح لدى الأبناء يعتمد إلى حد كبير على الجهد الذي يبذله الآباء لرعاية أبنائهم وتشجيعهم وحثهم على النجاح. كما يجب توخي الحذر في ألا يبالغ الآباء في الطلب من الأبناء تحقيق ما هو فوق طاقتهم، ويجب مراعاة الفروق الفردية في التحصيل ومستوى الذكاء لديهم، وفي هذا الخصوص تشير الدكتورة كليير فهيم إلى بعض النصائح للأبوين والتي يجب اتباعها ليجنبوا الأبناء المشكلات الناجمة عن سوء التصرف إزاءهم، وهي كما يلي:

- عدم المغالاة في الأهداف التي يتوقعانها من الابن المراهق، فإذا طلبا المستحيل فسوف تكون النتيجة الفشل وفقد الثقة بالنفس.
- ينبغي طلب الأهداف المتوقعة المعقولة المناسبة لقدرات المراهق.
- ينبغي أيضا على الوالدين أن يشجعا الناجحين دائماً ومكافأهم.
- وعليهما أيضا أن يساعدوا الابن المراهق إذا فشل في عمل، وذلك بتوجيهه بدلا من لومه، فربما يكون هذا الفشل سببا لنجاح عظيم فيما بعد (فهيم، كليير ٢٠٠٧-١).

(٤) حاجة المراهق إلى التقدير

إن حاجة الأبناء للتقدير هو من أهم عوامل الصحة النفسية، ويقرن إحساس الأبناء بالتقدير عندما يشعرون أنهم قادرين على تحمل المسؤولية والاستقلال،

ذلك الذي يمنحهم الآباء إياه في وقت مبكر، فتتمو عندهم الثقة بقدراتهم وبأنفسهم في مجابهة مواقف الحياة وصعوباتها، وعندما ينتقل الابن إلى فترة المراهقة ويتحرر من حالة التبعية للآخرين إلى حالة يحقق فيها نوعاً من الاستقلال ينتابه شعور بأنه جدير بكل ما يوكل إليه، وبأنه قوي وناجح ويستطيع أن يكفي نفسه بنفسه (السيبي، عدنان ١١٤: ١٩٩٨).

والمراهق دائماً في حاجة إلى أن يعترف به الكبار، وأن يعاملوه كفرد له أهميته، لذلك على الذين يتعاملون مع المراهق أن يحترموا عند نجاحه في أي عمل، وينصتون إليه عندما يتكلم ويكافئونه عند القيام بشيء يستحق المكافأة، وللأسرة دور مهم في غرس إحساس المراهق بالتقدير، كما تلعب الأسرة دوراً مهماً في إكساب المراهق الثقة بالنفس، ولكن في حدود ما يتمتع به من قدرات خاصة ومميزات حقيقية لشخصيته، ومعنى ذلك أن تتجنب الأسرة المبالغة في إظهار تقديرها لما يتمتع به الأبناء من قدرات، وذلك لكي لا تنقلب الثقة بالنفس إلى غرور يؤدي بالمراهق إلى عدم إدراكه لقدراته الحقيقية، ويوقع نفسه في مأزق الغرور ويصبح مكروهاً من زملائه، منبوذاً من الناس، بينما تساعد جرعات الثقة بالنفس التي يتلقاها المراهق خلال تنشئته في الأسرة إلى رفع مستوى طموحه، والاجتهاد، والمشاركة في دراسته، وينعكس ذلك في حياته الاجتماعية مستقبلاً، كنجاحه كارب أسرة مثلاً ونجاحه في الوظيفة التي يشغلها بعد تخرجه في عمله (فهيم، كلير ٢٠٠٧: ١-).

ومن دواعي شعور المراهق بتقدير الآخرين له معاملتهم له كرجل كامل النضج وأنه أهل للمسؤولية، وهو لذلك يعامل كما يعامل الكبار، ويشارك في مناقشة المشكلات التي قد تواجهها الأسرة، ويحترم رأيه، ولا بد أن يشعر المراهق بإخلاص الآخرين له ولكيانه، وأن مصلحته كفرد مصانة، فينشأ لديه احترام الذات فينعكس ذلك الاحترام على عالمه الخارجي.

ويرتبط شعور المراهق بتقدير الآخرين له عندما يكون قادرا على اقتباس معنى الشرف والسلوك القويم عملياً منهم، وهذا ما يبرز أهمية أن يكون الآباء قدوة صالحة لابنهم المراهق فيكسبون إعجابه واحترامه بتصرفاتهم. إضافة إلى أهمية إرضاء غروره الاجتماعي، حيث يمنح المراهق مكانة في المجتمع، فلا يحرم من مجالسة الرجال ومشاركتهم الحديث. ومن الأمور المهمة أيضا لإظهار التقدير للمراهق تشجيعه على الاختلاط بالجنس الآخر مع الرعاية الرشيدة وبذلك تعطى الفرصة للمراهق لكي يتعلم كيف يسلك سلوكا مهذباً في وجود الجنس الآخر، وفي حضرة من هم أكبر منه سناً أو مقاما.

وقد يجد المراهق أن استفزاز الآخرين أو أبويه له عندما يخطئ أو يغضب ومعايرته بالخطأ نوع من الإهانة وعدم التقدير، لذلك فإن مقابلة الغضب بالغضب يزيد من هذا الإحساس، والبديل الأمثل هو أن يجد من ذويه القدوة الحسنة في الرزانة وضبط النفس، وفي هذه الحالة يكتشف سلوكه الخاطئ بطريقة غير مباشرة، وبذلك تزداد ثقته في والديه، ويتجنب السلوك الخاطئ في المرات القادمة.

ثالثاً: الحاجات المعرفية والثقافية للمراهقة

المعرفة والثقافة من أهم الحاجات التي يجب الحرص على إشباعها لدى المراهق، فبهما يكتسب الوعي الضروري لفهم الحياة في عصر تتلاطم أمواجه، وبهما يمتلك المقدرة على التمييز بين صالح هذا العصر وطالعه.

لقد فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان على التساؤل وحب الاكتشاف، وحثهم على اكتساب العلم والمعرفة، وفضل العلماء منهم على من لا يعلم حيث يقول في محكم كتابه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: « إن الذي يدعو الإنسان إلى مزيد من التعليم هو العلم نفسه، إذ أنه كلما زادت المعرفة اتسعت منطقة المجهول، والتقدم نفسه

يعمل على زيادة حاجة الإنسان الشديدة إلى المعرفة، يتيح إمكانات ومجالات جديدة ويولد دوافع جديدة للتقدم الأوسع نطاقاً» (٨: ٢٠٠٤).

ويذهب «موراي» إلى أن حاجة الإنسان للمعرفة تعبر عن «الرغبة في تحليل الأحداث وتعميمها والميل إلى التصحيح الذاتي والنقد، والشغف بالأشكال الصعبة والبحث عن المسببات»، فالحاجة للمعرفة «تندمج مع الحاجة العالية للتقدير، فتجد الفرد دائماً يبحث عن الأداء الأكثر دقة عند من يعرف عنهم التفوق أو المنزللة العالية». وعند اندماج الحاجة بالمعرفة مع الحاجة إلى الاستقلال يكون نتيجة ذلك أن يتصف الفرد بالريادة والخبرة المتميزة» (الفرماوي، حمدي ٢٥: ٢٠٠٤).

إن الحاجة إلى المعرفة من الحاجات المهمة لدى الفتى المراهق، ويظهر ذلك منذ الطفولة عند محاولة الطفل التعرف على بيئته، وهي من العوامل التي إذا عولجت بحكمة أمكن عن طريق ذلك تنمية إمكانيات وقدرات كامنة لديه، تتطور بتطور النمو حتى تصل إلى درجات ومستويات واضحة ومواهب ظاهرة في مرحلة المراهقة.

وتعتبر الحاجة إلى المعرفة من ضرورات الحياة، ولا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبعد النفسي له، فالمعرفة تجعل من الإنسان أكثر اطمئناناً وأقوى قدرة على تسيير الأمور في الحياة، والمعرفة أيضاً تتصل بالواقع الاجتماعي، وهو الوسط الذي يزوده بالمعرفة في جميع مراحل العمر، وبواسطة المعرفة تنمو إمكانات الفرد وقدراته (فهيم، كلير - ٢ - ٢٩: ٢٠٠٧).

والإنسان مخلوق معرفي يتوق للتعرف على الوجود والكون وخالقه، ويستمر يبحث عن الحقائق الموثقة، ويجهد نفسه للاختراع والابتكار، لقد قدم الله سبحانه وتعالى معلومات وافية عن ذاته وصفاته وعن كيفية عبادته وعن اليوم الآخر، بينما حجب معلومات أخرى، ولكنه ترك أمر الكشف عنها لاجتهاد الإنسان، حيث يخاطبه المولى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[آل عمران : ١٩٠]، فعن طريق الملاحظة والتجربة والمحاولة والخطأ والصواب توصل الإنسان إلى الاكتشافات العلمية وما زال مستمرا في البحث للارتقاء بأمر دنياه (السامرائي، نعمان ٩٦ - ٩٥: ٢٠٠٠).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الثقافة لها دورا مهما في التنظيم المعرفي، وهي أحد مصادر المعرفة، فعندما تهتم الثقافة بمظاهر الغنى والثروة مثلا يتم إدراك هذه الظاهرة بسرعة وربما يتم تصنيف الناس تبعا لتشابههم فيها، نوع المنازل التي يسكنونها والسيارات التي يركبونها والمدارس التي يرسلون إليها أبناءهم... إلخ، وإذا اهتمت الثقافة بلون البشرية، فسوف يكون الميل إلى تقسيم الناس إلى بيض وسود وهكذا... إن المفاهيم الثقافية التي تعلمها الفرد تحدد عمليات التجميع والتنظيم المعرفي لديه وتؤثر على كل ما يصدره من أحكام على كل ما يحيط به (الفقي، حامد؛ وخير الله، سيد ٤٥: ١٩٧٤).

والجدير بالذكر أن التغيرات في حاجة الفرد وكذلك التغيرات في معلوماته هي متداخلة، بمعنى أنه كلما شعر المرء أنه أمام حاجات جديدة واكب ذلك رغبته في البحث عن معلومات جديدة لتزداد معارفه، وكلما ازدادت معارفه نتجت لديه حاجات جديدة تدفعه للمزيد من التعلم والمعرفة (الفقي، حامد؛ وخير الله، سيد ٦١: ١٩٧٤).

وهنا يمكن القول بأن الثقافة مكتسبة وتعتمد في الدرجة الأولى على القراءة والندوات العلمية والأدبية وغيرها، بينما المعرفة تكتسب بالسماع والممارسة، وتعتمد في الدرجة الأولى على الإدراك والذكاء والفتنة والفراسة، وهي بذلك لا يدركها إلا من يمتلك المقدرة العقلية، وبينما العارف يلمس فعله وأقواله جميع شرائح المجتمع فإن المثقف يخاطب شريحة محددة من المجتمع (www. Alachebal.ibda3.org/t194-topic).

وأول من عرف الثقافة هو العالم الأنثروبولوجي تايلور، حيث عرفها بأنها «ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق

والعادات، وأي قدرات أخرى اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع» (جلال، سعد د. ت: ٩١)، وهي التي ينقلها الآباء عن الأبناء، ولذلك يعرفها البعض بأنها انتقال سبل التكيف مع البيئة التي توصل إليها الآباء والأجداد (نفس المرجع ص ٩٢). والثقافة كما يعرفها كلباتريك هي: «كل ما صنعه يد الإنسان وعقله من مظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان أو اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية» (ناصر، إبراهيم ١١٩: ٢٠٠٤). ويعرفها رالف لتون على أنها «كل مركب يضم الأشغال اليدوية والمعتقدات والفنون وجميع العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في جماعة، وكل ما ينتجه الإنسان العادي من الأشياء التي تقرها هذه العادات، وهي -الثقافة- حصيلة الاستجابات التكيفية للإنسان، وبالإجمال هي جميع الأفكار المتصلة بالطرز القياسية للسلوك، وهي مجموعة متشابكة من الوسائل التي تتخذ شكل أنماط معينة وتختص بتلبية حاجات الحياة، وهي شبكة من الأهداف التي ترمي إليها المنجزات الفردية والجماعية» (نفس المرجع ص ١٢٠).

والإنسان الواعي هو إنسان مثقف بالضرورة، يعرف ويدرك مجريات الحياة من حوله، وكيف تشكل أمتة، بل والحياة البشرية بصفة عامة، هذا المثقف بضاعته معلومات وأفكار، سواء أبدعها بنفسه أو انتقلت إليه بحكم التواصل مهما كان نوع هذا التواصل، فأمن بهذه الأفكار مع الاقتناع التام بأن يتبناها بوعي ورؤية، وأكثر من ذلك بأن يقنع بها الآخرين، وهو في ظنه أنه ينشد التغيير إلى الأفضل على تفاوت في ذلك بين فكرة وفكرة ومعلومة وأخرى (نفس المرجع ص ١١١). وهنا تبلور لدى المثقف خاصية ثنائي الثقافة والمعرفة، وهو ما تحتاجه اليوم الأجيال الجديدة في الوطن العربي.

حاجة المراهق للمعرفة والثقافة

إذا كانت المعرفة (cognition) تعني العمليات التي تهتم «بتصنيف وتخزين ودمج المعلومات التي يتعرض لها الإنسان مع المعارف الموجودة لديه واستدعاء واستخدام هذه المعارف فيما بعد»، وهي بذلك تشتمل على التفكير والادراك والفهم

وغيرها (فرغلي، علاء ١٨: ٢٠٠٨)، فإن الثقافة هي التي تخلق القوالب والأوضاع الاجتماعية والتي يعبر بها الفرد عن انفعالاته وعواطفه ومشاعره. وبينما ترتبط الجوانب المعرفية بمستوى الذكاء والقدرة العقلية كالتحليل، والاستنباط، والاستنتاج، فإن القوالب الثقافية تتيح الفرصة لإبراز ما تنتجه المعرفة.

وفي سن المراهقة، يصل الأبناء إلى أعلى درجات القدرات العقلية حيث يعزز النمو هذه العمليات، مما يؤدي إلى إدراك المراهق إلى المتغيرات التي تحيط به. ولكي يستغل الأبناء هذه القدرات على أكمل وجه، فإنه بحاجة إلى توظيفها فيما يتيح له الأسرة والمجتمع من إمكانيات ووسائل ثقافية واجتماعية. فهو في حاجة إلى المساعدة لاكتشاف قدراته الكامنة أو ما قد يمتلكه من مواهب علمية أو أدبية كالإختراع أو الكتابة والفن وغيرها. وكل هذا يتطلب التمرين والخبرة الكافية، ويمكن تنمية هذه القدرات منذ الطفولة، ويتيح له ما اكتسبه من خبرات في طفولته إلى الإرتقاء بمواهبه وقدراته.

إن للبناء النفسي للإنسان عموما والشباب بصفة خاصة، قدرات عقلية وميول سائدة مهمة للنشاط العقلي كما أن لها أهميتها في بناء شخصياتهم، مما يستدعي الأمر إلى أن ننظر إلى هذه القدرات العقلية والميول نظرة موضوعية وواعية عند وضع برامج يهتم بأمور الأبناء ورعايتهم وتوجيههم التربوي والمهني وعند اختيار هواياتهم والعابهم وأوجه نشاطاتهم المختلفة في أوقات فراغهم (منصور، أحمد و الشربيني زكريا ٥١: ٢٠٠٤).

تلك هي بعض الحاجات المهمة التي يجب إشباعها في فترة المراهقة، ومن شأن ذلك أن يخلق من المراهق شخصية سليمة خالية من الأمراض النفسية متكيفة مع المجتمع ومنسجمة مع ذاتها، تؤهل الابن للانتقال إلى مرحلة الرشد، وهو أكثر مقدرة على حمل أعبائها.

